

﴿يَقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ
وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝۳۱ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ
بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءٌ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ ۝۳۲﴾ [الأحقاف: 31 - 32]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

لَمَّا جَاءَ الْخَطَابُ مِنَ النَّفَرِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْجَنِّ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ
لِقَوْمِهِمْ: ﴿يَقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وَكَانَ ذَلِكَ تَوْطِئَةً
وَتَعْرِيفًا وَبَيَانًا لِّمَا سَمِعُوهُ؛ نَاسِبٌ أَنْ يَذْكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ الْغَايَةَ الَّتِي لِأَجْلِهَا
كَانَتِ التَّوْطِئَةُ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ، وَهِيَ التَّرْغِيبُ فِي إِجَابَةِ الدَّاعِي إِلَى
دِينِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّرْهِيْبُ مِنْ عَدَمِ الْإِجَابَةِ، فَهُوَ انْتِقَالٌ مِنَ التَّوْطِئَةِ
وَالْتَّمْهِيدِ إِلَى ذِكْرِ الْغَايَةِ الْجَامِعَةِ بَيْنَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ، أَوْ مِنْ
الْإِخْبَارِ الْمَجْرَّدِ إِلَى الطَّلَبِ الْمَفْرَدِ؛ تَوْسُلًا بِالْخَبَرِ الْمَجْرَّدِ إِلَى الطَّلَبِ
الْمُكَلَّفِ، فَفِي تَقْدِيمِ الْأَخْبَارِ بَيْنَ يَدَيِ الطَّلَبِ تَوْطِئَةٌ مُّؤَثَّرَةٌ وَفَاعِلَةٌ فِي
قَبُولِ الْمُخَاطَبِينَ إِلَيْهَا، وَبِخَاصَّةٍ حِينَ تُبَيِّنُ الْأَخْبَارُ جَوَانِبَ الْخَيْرِ فِي
الْمُخْبَرِ عَنْهُ، وَقَدْ بَيَّنَّ الْخَبَرُ هُنَا مَزَايَا الْكِتَابِ بَيْنَ يَدَيِ الدَّعْوَةِ إِلَى
الْإِيمَانِ بِهِ، وَذَلِكَ الْأَسْلُوبُ يُعْطِي الْمَنْهَجَ الْأَمْتَلَّ بَيَانِ الْخَيْرِ وَجَوَانِبِ
النَّفْعِ فِيهِ، ثُمَّ بِنَاءُ الطَّلَبِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَهَذَا مِنْ بَدِيعِ الْإِنْتِقَالِ
الْقَائِمِ عَلَى التَّدْرُجِ فِي الْخَطَابِ.

الانتقال من
التَّوْطِئَةِ إِلَى
الغَايَةِ تَدْرُجٍ فِي
الْخَطَابِ بَدِيعٌ

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿أَجِيبُوا﴾: الْجَوْبُ: قَطْعُ الْجَوْبَةِ - وَهِيَ كَالْغَائِطِ مِنَ الْأَرْضِ
- ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ فِي قَطْعِ كُلِّ أَرْضٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا
الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝۹﴾ [الفجر: 9]، وَالْجَوَابُ يُقَالُ فِي مَقَابِلَةِ السُّؤَالِ، وَالسُّؤَالُ

على ضربين: طلب مقال، وجوابه المقال، وطلب نوال، وجوابه النوال، فعلى الأول: ﴿أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾، وعلى الثاني قوله: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾ [يونس: 89]، أي: أُعطيتمَا ما سألتما.

والاستجابة هي التحري للجواب والتهيؤ له، لكن عبّر به عن الإجابة لِقَلَّةِ انفكاكها منها، قال تعالى: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: 24]⁽¹⁾.

فإجابة داعي الله تعالى: تلبية دعوته إلى الإيمان، وتصديق ما جاء به من عند الله تعالى.

(2) ﴿دَاعِيَ﴾: (دعو) أصل واحد، وهو أن تُميل الشيء إليك بصوتٍ وكلام يكون منك، تقول: دعوتُ أدعو دعاءً⁽²⁾، والدُّعاءُ: الرَّغْبَةُ إلى الله ﷻ، دَعَاهُ دُعَاءً ودَعَوَى، ومن كلامهم اللهم أشركنا في دَعْوَى المُسلمين، دَعْوَتُهُ له بِخَيْرٍ، وَعَلَيْهِ بِشْرٌ⁽³⁾، والنَّبِيُّ ﷺ داعي الأمة إلى توحيد الله تعالى وطاعته، قال الله تعالى مخبراً عن الجنِّ، الَّذِينَ اسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ، وَوَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ: ﴿يَقُولُونَ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾⁽⁴⁾، فداعي الله في الآية الكريمة يحتمل أن يكون القرآن، ويحتمل أن يكون الرَّسُول ﷺ، والأولى حملة على المجموع، وهو أن يكون الرَّسُول والرِّسالة، فإنَّ الوحي عبارةٌ عنهما جميعاً.

(3) ﴿وَيُجْزَكُمْ﴾: أجازَ يُجير أجزَ إجارةً، فهو مُجير، والمفعول مُجارٍ، أجاره الله من العذاب: حماه منه، وأنقذه، جعله في جواره وحمايته: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ [الجن: 22]، واستجار فلاناً: سأله أن يؤمّنه، ويحفظه، أو أن يوفر له الأمن والحماية: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ [التوبة: 6]، واستجار بالله: استغاث به، والتجأ إليه⁽⁵⁾.

فمعنى قول الجنِّ: ﴿وَيُجْزَكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، أي: ينقذكم، ويؤمّنكم، ويُعِثِّكم، ويحفظكم من عذاب وجيع، ويمنحكم حقوق الجوار من الحماية والدّود والدِّفاع عنكم.

(1) الرّاعب، المفردات في غريب القرآن: (جوب).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دعو).

(3) ابن سيده، للحكم والحيث الأعظم: (دعو).

(4) الأزهري، تهذيب اللغة: (دعو).

(5) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (جور).

(4) ﴿بُعْجِزٍ﴾: (عجز) أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى الضَّعْفِ، وَالْآخَرُ عَلَى مُؤَخَّرِ الشَّيْءِ. فَالْأَوَّلُ: عَجَزَ عَنِ الشَّيْءِ يَعْجِزُ عَجْزًا، فَهُوَ عَاجِزٌ، أَيُّ: ضَعِيفٌ⁽¹⁾، وَيُقَالُ: أَعْجَزَنِي فُلَانٌ؛ إِذَا عَجِزْتُ عَنْ طَلِبِهِ وَإِدْرَاكِهِ⁽²⁾، وَالْمَعْنَى الْمَحْزُورِيُّ: رَخَاوَةُ الْمُجْتَمَعِ فِي أَسْفَلِ الشَّيْءِ وَطَرَاءَتِهِ لِدَهَابِ الشَّدَّةِ وَالْقُوَّةِ مِنْ أَثْنَائِهِ⁽³⁾، وَعَجَزَ الرَّجُلُ وَعَاجَزَ: ذَهَبَ، فَلَمْ يَوْصَلْ إِلَيْهِ⁽⁴⁾، فَالْمُعْجِزُ: الْغَالِبُ غَيْرُهُ بِإِنْفِلَاتِهِ مِنْ قَبْضَتِهِ⁽⁵⁾، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾، أَي: لَنْ تَخْرُجُوا، أَوْ تَفْتَلتُوا مِنْ قَبْضَةِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ لِعَدَمِ الْإِجَابَةِ، فَلَا يُعْجِزُ اللَّهُ تَعَالَى شَيْئًا⁽⁶⁾.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

تُبَيِّنُ الْآيَتَانِ الْكَرِيمَتَانِ مَا قَالَهُ النَّفَرُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْجَنِّ لِقَوْمِهِمْ: يَا قَوْمَنَا تَدَارَكُوا أَنْفُسَكُمْ بِتَلْبِيَةِ هَذَا الدَّاعِي، الَّذِي أَتَانَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَآمَنُوا بِهَذَا الْكِتَابِ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ، فَتَفُوزُوا بِمَغْفِرَةٍ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ ﷻ مِنْ ذُنُوبٍ وَسَيِّئَاتٍ، فَيَنْقُذَكُمْ مِنْ عَذَابِهِ الْأَلِيمِ.

إجابة داعي الله
نجاهة في الآخرة،
والنكوص
عنه مهلكة في
الدارين

وَلَتَعْلَمُوا أَنَّ مَنْ لَا يُلَبِّي هَذَا الدَّاعِي الْكَرِيمَ، وَلَا يُجِيبُهُ إِلَى الْإِيمَانِ، فَلَا قُوَّةَ لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا مَهْرَبَ لَهُ، وَلَوْ دَخَلَ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ، وَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَاصِرِينَ يَنْصُرُونَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ﷻ.

❖ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالْبَلَاغِيُّ:

علة فصل جملة النداء:

فُصِّلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ عَمَّا قَبْلَهُ لَوُثَاقَةِ

بيان ما يجب
من الاستجابة
لكتاب الله
تعالى

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عجز).

(2) ابن منظور، لسان العرب: (عجز).

(3) جبل، المعجم الاشتقاقي: (عجز).

(4) ابن منظور، لسان العرب: (عجز).

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 103/25.

(6) الأزهرى، تهذيب اللغة: (عجز)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 62/26.

اتصالهما المعنوي، وعدم حاجتهما إلى رابط لفظي؛ ذلك أن جملة: ﴿يَقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا﴾ مقول قولهم في الجملة الأولى: ﴿قَالُوا يَقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا﴾، والجملة هنا: ﴿يَقُومَنَا أَجِيبُوا﴾ من مقول هذا القول، "أي: وقالوا لقومهم أيضاً: يا قومنا أجيبوا داعي الله"⁽¹⁾، فهذه الجملة من باب البيان لما تقدّم، فإنّ الجملة الأولى التي هي توطئة نُزلت منزلة الجملة المبيّنة، والجملة الثانية هي المبيّنة، فإنّ الإخبارَ بسماع كتاب من بعد موسى ﷺ، يحتاج إلى مزيد بيان في ذكر الغرض، وعلى هذا تكون الجملة من باب كمال الاتصال، وتحتل أن تكون من الاستئناف البياني، أي: فماذا قالوا لهم بعد أن أخبروهم ما أخبروهم به، فجاءت الجملة الأخرى بمنزلة شبه كمال الاتصال.

بلاغة تكرار النداء:

أعيد ذكر النداء ﴿يَقُومَنَا﴾ في الجملة الثانية، مع تقدّم ذكره في الأولى، فلم يقل مباشرة: ﴿أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾؛ "للاهتمام بما بعد النداء، وهو أجيبوا داعي الله إلى آخره؛ لأنّه المقصود من توجيه الخطاب إلى قومهم، وليس المقصود إعلام قومهم بما لقوا من عجب الحوادث، وإنّما كان ذلك توطئة لهذا، ولأنّ اختلاف الأغراض وتجدد الغرض ممّا يقتضي إعادة مثل هذا النداء، كما يُعيد الخطيب قوله: (أيّها النّاس)، كما وقع في خطبة حجّة الوداع"⁽²⁾. ولما للنداء من تأثير في المنادى، وبخاصّة إذا كان بأداة البعد المشعّرة ببعد منزلة المنادى في الكرامة على المنادي، وإذا كان المنادى مضافاً إلى ضمير المنادي مثل قولهم: (قومنا)؛ فإنّه أفعال في النّفس، وأنفى للشكّ والارتياب فيما يعرضونه عليهم، وأكثر

اختلاف الأغراض
وتجدها يقتضي
الإعادة والتكرار

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 206 / 13.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 60 / 26.

استمالةً وتَعَطُّفًا وتَلَطُّفًا بالمُنَادَى، مِمَّا يَضْمَنُ قَبُولَ الأَمْرِ الآتِي بَعْدُ
بدرجة كبيرة؛ لذلك "نجح هذا الأسلوب في كثير منهم، فجاءوا إلى
رسول الله يبتغون سبيل الهدى والرَّشَاد" (1).

غرض الأمر ودلالته:

الأمر في قوله تعالى على لسانِ الجنِّ المؤمنِّ لقومهم: ﴿أَجِيبُوا
دَاعِيَ اللَّهِ﴾ محمولٌ على الإلزام؛ لأنَّ المخاطَبِينَ مؤمنون، وهم
مؤمنون بما أنزل على موسى ﷺ، فإنَّهم يأْمُرُونَهُمْ بما يُؤْمِنُونَ به،
والإيمان وموجباته ملزمةٌ لصدورها عن الله تعالى.

بلاغة التعبير بصيغة الإجابة دون الاستجابة:

جاء التعبير بصيغة الإجابة دون الاستجابة في قوله تعالى:
﴿أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾؛ وذلك لما في الحثِّ على الإجابة من السُّرعة
والمبادرة، بخلاف الاستجابة ففيها السَّيْنُ والتَّأْ الدَّالَّتَانِ على
المبالغة والتَّوَكُّيد أو الطَّلَب، والسِّيَاق الَّذِي تكلَّم فيه النَّفَرُ المؤمنِّ
من الجنِّ ليس بحاجةٍ إلى مثل هذه المعاني المضافة على أصل فعل
الإجابة، فجاءت على بابها، فإنَّ زيادات الحروف يجب أن تكون
حاويةً للمعاني البلاغيَّة بحسب السِّيَاق الواردة فيه، كما أنَّه في يُسر
لفظ الإجابة إلماح إلى يُسر تنفيذها في اعتناق الدِّين.

بلاغة الاستعارة في لفظ ﴿أَجِيبُوا﴾:

استُعير فعل ﴿أَجِيبُوا﴾ لمعنى "اعملوا، وتقلّدوا؛ تشبيهاً للعمل بما
في كلام المتكلِّم بإجابة نداءِ المُنادي، كما في آية: ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ
فَأَسْتَجِبْكُمْ لِي﴾ [إبراهيم: 22]، أي: إِلَّا أَنْ أَمَرْتُكُمْ، فأطعتموني؛ لأنَّ قومهم
لم يدعهم داعٍ إلى شيء، أي: أطيعوا ما طلب منكم أن تعملوه" (2).

أمر الدُّعاة ملزمٌ
باعتبار مصدره
الإلهي

زيادات الحروف
يجب أن تكون
حاويةً للمعاني
بحسب السِّيَاق

الإجابة دليل
العمل

(1) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 937/9.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 60/26.

دلالة الأمر بالإجابة قبل الأمر بالإيمان:

التَّرتيبُ باعتبار
الوجودِ الفعليِّ

قَدْ ذَكَرُ طَلِبِ الإِجَابَةِ عَلَى طَلِبِ الإِيْمَانِ فِي قَوْلِ نَفَرِ الْجَنِّ الْمُؤْمِنِ: ﴿أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾ باعتبارِ التَّرتيبِ الفعليِّ، فَإِنَّ الإِيْمَانَ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ الإِجَابَةِ بِمَعْنَى قَبُولِ الدَّعْوَةِ وَالْعَمَلِ بِمَقْتَضَاهَا مِنَ الإِيْمَانِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَحْكَامِ، فَإِنَّ قَبُولَ الدَّعْوَةِ يَكُونُ أَوَّلًا، ثُمَّ الإِيْمَانُ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَإِلَى الْإِنْسَانِ يُجِيبُ الدَّعْوَةَ، ثُمَّ يُؤْمِنُ بِهَا، وَقَبُولُ الدَّعْوَةِ فِي الْغَالِبِ يَنْشَأُ عَنْهُ إِيمَانٌ بِهَا، فَمَعْنَى ﴿أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾: "أَجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ مُحَمَّدًا إِلَى مَا يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ"⁽¹⁾، وَمَعْنَى ﴿وَآمِنُوا بِهِ﴾: آمِنُوا بِاللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ الإِجَابَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْإِيْمَانَ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَمَنْ أَجَابَ رَسُولَ اللَّهِ؛ فَإِنَّمَا اسْتَجَابَ لِلَّهِ، وَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ؛ فَإِنَّمَا آمَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ.

نكتة حذف متعلق فعل ﴿أَجِيبُوا﴾:

حُذِفَ مُتَعَلِّقُ فِعْلِ ﴿أَجِيبُوا﴾ بِغَرَضِ الْإِتِّصَافِ بِصِفَةِ الإِجَابَةِ، أَي: كُونُوا مُجِيبِينَ لِدَاعِي اللَّهِ، أَوْ لِلْعَمُومِ، أَي: أَجِيبُوهُ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ.

فائدة التَّعبير بـ ﴿دَاعِيَ اللَّهِ﴾ دون (رسول الله):

رسولُ الله
رسولٌ للإنسِ
بشكلٍ مباشرٍ
وللجنِّ بشكلٍ
غيرٍ مباشرٍ

فِي إِثَارِ النَّظْمِ الْكَرِيمِ التَّعْبِيرُ بـ ﴿دَاعِيَ اللَّهِ﴾ - عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ ﴿دَاعِيَ اللَّهِ﴾ هُوَ (رَسُولُ اللَّهِ) - دُونَ التَّعْبِيرِ بـ (رَسُولُ اللَّهِ) اسْتِثَارَةٌ لِأَحَاسِيْسِ النَّخْوَةِ فِي قَوْمِهِمْ، وَمَنَاغَاةٌ لِعَوَاطِفِهِمْ، وَتَنْبِيْهُ لَهُمْ إِلَى فُرْصَةِ اقْتِنَاصِ ذَلِكَ الشَّرَفِ وَنَيْلِ مَكْرَمَةِ الإِجَابَةِ، وَبِخَاصَّةٍ أَنَّ الدَّاعِيَ هُوَ ﴿دَاعِيَ اللَّهِ﴾ ﷺ، أَمَّا التَّعْبِيرُ بِإِجَابَةِ (رَسُولِ اللَّهِ)؛ فَفِيهِ تَكْلِيْفٌ خَالٍ مِنْ مَّنَاغَاةِ الْأَرْوَاحِ بِمَا فِي ﴿دَاعِيَ اللَّهِ﴾ مِنْ تِلْكَ الْإِشَارَةِ، كَمَا أَنَّ ذِكْرَ ﴿دَاعِيَ اللَّهِ﴾ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ رَسُولًا مُبَاشِرًا لِلْجَنِّ، فَهُوَ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَعَلَى الْجَنِّ أَنْ يَمْتَثِلُوا

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 141.

له، فدلّ لفظ الدّاعي على العموم، بينما يوحي لفظ (رسول) بالخصوص، فهو رسولٌ مباشرٌ للإنس وغير مباشرٍ للجنّ، ولو كانت رسالته للجنّ مباشرةً، وهو مكلفٌ بدعوتهم دعوة مباشرة، كما هي للإنس؛ لكان رسولاً لهم، ولقيل: (أجيئوا رسول الله)، فأتى النّظم باللفظ الأنسب بالمقام.

بلادة الاستعارة في لفظ ﴿دَاعِيَ اللَّهِ﴾:

على القول بأنّ معنى: ﴿دَاعِيَ اللَّهِ﴾ القرآن الكريم؛ بناءً على المذكور في السّباق: ﴿سَمِعْنَا كِتَابًا﴾، فهو استعارةٌ تصرّحيةٌ تبعيّةٌ في اسم الفاعل ﴿دَاعِيَ﴾؛ وذلك لأنّه "يشتمل على طلب الاهتداء بهدّي الله تعالى، فُسبّه ذلك بدُعاء داعٍ إلى الله تعالى، واشتقّ منه وصفٌ للقرآن بأنّه ﴿دَاعِيَ اللَّهِ﴾" (1).

القرآن الكريم
داعٍ إلى الله
تعالى

دلالة إضافة ﴿دَاعِيَ﴾ لاسم الجلالة:

إضافة ﴿دَاعِيَ﴾ إلى الاسم الجليل ﴿اللَّهُ﴾ تُفيض على المضاف ﴿دَاعِيَ﴾ من جلال المضاف إليه ﴿اللَّهُ﴾ ما يوجب توقير هذا المضاف، وما يقتضي إجابته إلى دعوته واعتناق دينه؛ لأنّه داعي الحقّ، وداعي الخير، وداعي التّوفيق إلى ما فيه أسباب السّعادة كلّها في الدّنيا والآخرة، فالإضافة أتت بمعنى اللّام على معنى: داعي لله، وبمعنى (من) على معنى: داعي من الله، فأفادت أنّ غايته هي الله تعالى؛ لأنّ مصدريّته من الله تعالى.

الإضافة تحمل
معنى الغاية
والتّعليل

نوع (الواو) ودلالاتها:

(الواو) في قوله تعالى: ﴿وَعَامِنُوا بِهِ﴾ عاطفةٌ؛ إذ تجمع بين طلبهم إجابة ﴿دَاعِيَ اللَّهِ﴾ تعالى، وبين طلبهم الإيمان به ﷺ، والإجابة والإيمان بعضهما من بعض، ويقتضي بعضهما بعضاً؛

الإجابة مقدّمة
الإيمان والإيمان
يُحافظ على
الإجابة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 60 / 26.

فالإجابة مقدّمة الإيمان، والإيمان هو الذي يحافظ على استمرار
الإجابة والإقبال على الله تعالى.

نوع (الباء) ودلالاتها:

(الباء) في قوله تعالى: ﴿وَعَامِنُوا بِهِ﴾ باء التعديّة، وتعديّة فعل الأمر بالإيمان بها يضمّنه معاني عدّة أفعال أخرى، منها (استمسكوا به)، و(اعتزّوا به)، و(تحصّنوا به)، و(لوذوا به)، و(اكتفوا به) وغيرها من الأفعال التي تتعدّى بالباء، ممّا يربط العبد بذلك الكتاب المجيد وبذلك الرّسول ﷺ.

تعيين مرجع الضمير في قوله: ﴿وَعَامِنُوا بِهِ﴾:

يرجع الضمير المجرور في قوله تعالى: ﴿وَعَامِنُوا بِهِ﴾ إلى المضاف ﴿دَاعِي﴾ على الاحتمالين المذكورين، وهما القرآن الكريم، والرّسول ﷺ، أو يرجع إلى المضاف إليه، وهو ﴿اللّٰهُ﴾ تعالى، وهو الأولى، على قاعدة عودة الضمير لأقرب مذكور، وهو ما يستسيغه المقام، وهو ما جرت عليه عادة القرآن، فمن آمن بالله تعالى؛ آمن بالرسالة والرّسول، وهو "المناسب لتناسق الضمائر مع ﴿يَغْفِرُ لَكُمْ﴾ و﴿وَيَجْزِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾" (1)، فهو المتّسق سابقاً ولحاقاً.

فائدة اختيار فعل ﴿يَغْفِرُ﴾ جواباً للطلب:

آثر النظم الكريم استعمال مفردة الغفر في جواب الطلب ﴿يَغْفِرُ لَكُمْ﴾؛ لأنّ الغفر في اللغة هو "السّتر والتّغطية" (2)، فغفر الذنوب يستلزم "سلب عقوبة الذنب" (3)، فـ "يستر، ويسامح" (4)، والمعنى: "يتعمّد لكم ربكم من ذنوبكم، فيسترها عليكم، ولا يفضحكم بها في

الإيمان بالله
استعصام
وتحصّن ولوذا
وعياذ من كلّ
سوء

ترجيح عودة
الضمير إلى الله
تعالى الأوفى
بالسياق سابقاً
ولحاقاً

المغفرة ستر
وقبول ووعد
بالمزيد

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 61/ 26.

(2) الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: 166/ 3.

(3) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 11932/ 19.

(4) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 183/ 18.

الآخرة بعقوبته إياكم عليها"⁽¹⁾، فالغفر جامع لمعنى السّتر والتّجاوز، ووعدٌ بالقبول، وترغيبٌ بالمزيد.

نكتة بناء فعل ﴿يَغْفِرُ﴾ للفاعل:

جاء فعل جواب الأمر ﴿يَغْفِرُ﴾ مبنياً للفاعل إكراماً لمن أجاب ﴿دَاعِيَ اللَّهِ﴾ تعالى، وآمن به، ودليلاً على تهيؤ هذا العبد المؤمن لفضل الله تعالى عليه مباشرة، ففي إسناد فعل ﴿يَغْفِرُ﴾ لضمير اسم الجلالة بشاره خير، وسعادة بالنّجاة من الغضب الإلهي والنيران، ونيل ما يتّبع ذلك من التّحلية بالرضوان والجنان؛ لأنّ الكريم إذا منح بنفسه؛ منح على قدره.

الكريم إذا منّح
بنفسه؛ منح
على قدره

نوع (اللام) ودلالاتها:

(اللام) في قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ هي (لام) الاستحقاق، أي: إنكم بإيمانكم وإجابتكم تستحقّون المغفرة بإذن الله تعالى، أي: تصلّحون، وتتهيّؤون لمغفرة بعض ذنوبكم، أو هي (لام) الاختصاص، أي: إن تجيبوا داعي الله تعالى، وتؤمنوا به؛ تظفروا بمغفرة منه ﷻ مباشرة.

من أجاب داعي
الله تعالى؛
اختصّه سبحانه
بمغفرته

نكتة تقديم ﴿لَكُمْ﴾ على ﴿مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾:

قدّم ذكر الجار والمجرور ﴿لَكُمْ﴾ على القيد ﴿مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾؛ وفاءً بمقام التّرجيب، ودعماً للاستمالة، وتنبيهاً بهذا التّقديم إلى مدى الإفادة التي يفيدها من إجابة داعي الله والإيمان به، ففي هذا التّقديم معالجةً لنفوس المخاطبين المهمومين بذنوبهم، ففي التّقديم عنايةً واهتماماً بشأنهم.

اختصاص
النفوس ببعض
الزّايا يستميلها

نوع ﴿مِنْ﴾ ودلالاتها:

حرف ﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ للتّبعية، أي: يغفر لكم بعض ذنوبكم، وإن كان التّبعية لا يناسب

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 172 / 21.

ليس لأحد أن
يحكم لأحد
بمغفرة مطلقة
أو عقوبة مطلقة

مقام التَّغْيِبِ غير أنَّ نَفَرَ الْجَنِّ لَا يَمْلِكُونَ قَرَارَ الْمَغْفِرَةِ النَّاتِمَةِ، وَلَا يَضْمَنُونَهُ؛ لِأَنَّ هَذَا الْقَرَارَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَاحْتَرَسُوا بِذَلِكَ التَّبْعِيضَ مِنَ الْجُرْأَةِ فِي الْوَعْدِ بِالْمَغْفِرَةِ، وَأَظْهَرُوا حُسْنَ أَدَبِهِمْ بِتَقْوِيضِ الْمَغْفِرَةِ إِلَى رَبِّهِمْ، فَهُوَ سَبْحَانَهُ إِنْ شَاءَ؛ غَفَرَهَا جَمِيعًا، وَإِنْ شَاءَ؛ غَفَرَ بَعْضَهَا⁽¹⁾، فَجَاءَتْ ﴿مِنْ﴾ هُنَا؛ "دَفْعًا لِتَوَهُّمِهِمْ أَنَّهُمْ إِذَا أَجَابُوا دَاعِيَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَمَنُوا بِهِ؛ يَغْفِرُ لَهُمْ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَمَا تَأَخَّرَ"⁽²⁾، وَلَا يَتَوَهُّمُوا جَوَازَ فِعْلِ كُلِّ الذُّنُوبِ بَعْدَ إِجَابَتِهِمْ دَاعِيَ اللَّهِ تَعَالَى وَإِيْمَانِهِمْ بِهِ، وَيَشْمَلُ التَّبْعِيضُ مَغْفِرَةَ "مَا كَانَ فِي خَالِصِ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّ حَقَّقَ الْعِبَادِ لَا تُغْفَرُ بِالْإِيْمَانِ"⁽³⁾، أَوْ أَنْ تَكُونَ ﴿مِنْ﴾ هُنَا "لِابْتِدَاءِ الْغَايَةِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ يَقَعُ ابْتِدَاءُ الْغُفْرَانِ مِنَ الذُّنُوبِ، ثُمَّ يَنْتَهِي إِلَى غُفْرَانِ تَرَكَ مَا هُوَ الْأَوَّلَى"⁽⁴⁾.

بلاغة استعمال مفردة الذُّنُوبِ دُونَ السَّيِّئَاتِ:

آثَرُ النَّظْمِ الْكَرِيمِ عَلَى لِسَانِ الْجَنِّ ذِكْرَ الذُّنُوبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ دُونَ السَّيِّئَاتِ، وَالذَّنْبُ - عَلَى أَحَدِ الْمَعَانِي - هُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَعْصِيَةِ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَالسَّيِّئَةُ مَا يَخَالَفُ مَنَهِجَ اللَّهِ تَعَالَى مَعَ عِبَادِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، فَيَسُوؤُهُمْ، وَعَلَيْهِ جَاءَ الدُّعَاءُ: ﴿رَبَّنَا فَاعْفُرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ [آل عمران: 193]⁽⁵⁾، فَجَاءَ الْوَعْدُ بِمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ، وَهُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، دُونَ مَا يَتَعَلَّقُ بِحَقَّقِ الْعِبَادِ مِنَ السَّيِّئَاتِ.

نوعُ واوِ الْعَطْفِ وَدَلَالَتُهَا:

(الواو) فِي جُمْلَةٍ: ﴿وَيُجْزِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ عَاطِفَةٌ عَلَى جُمْلَةٍ: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ عَطْفٌ مُسَبِّبٌ عَلَى سَبَبِهِ؛ لِأَنَّ

عطفُ السَّبَبِ
على السَّبَبِ
مرغَّبٌ فِي الْإِجَابَةِ

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 206 / 13.

(2) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 937 / 9.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 89 / 8.

(4) الشوكاني، فتح القدير: 31 / 5.

(5) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 1964 / 4.

الإجارة من العذاب الأليم مسببة ومتوقفة على غفران الذنوب، وبمجموعهما يكتمل جواب الطلب ﴿أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾، فهذا العطف من باب عطف المسبب على سببه، والجمع بينهما فاعل في سياقه ترغيباً كان أو ترهيباً.

بلغة استعمال مفردة (يُجْزِكُمْ):

أثر النظم الكريم استعمال مفردة الإجارة في قوله تعالى: ﴿وَيُجْزِكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ لما فيها من معاني الإنقاذ من العذاب الأليم والحفظ، وفيها كذلك إيجاء بإسعادهم بكرامات الجوار، فلجوار حقوقه في أعراف الناس جميعاً، فكأن الله تعالى يتخذهم جيراناً، ويمنحهم حقوق الجوار من الحماية والدفاع، ومن التكريم والإكرام؛ لذلك فسرها ابن عطية بأنه سبحانه "يمنعكم، ويجعل دونكم جوار حفظه؛ حتى لا ينالكم عذاب"⁽¹⁾، ف "يمنعكم إذا أجبتم منَع الجار لجاره؛ لكونكم بالتَّحِيُّزِ إلى داعيه صِرْتُمْ من حزبه"⁽²⁾.

نوع (مِّنْ) ودلالاتها:

(مِّنْ) في قوله تعالى: ﴿وَيُجْزِكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ "لتعديّة فعل (يُجْزِكُمْ)؛ لأنه يُقال: أجاره من ظلم فلان، بمعنى: منَعه، وأبعده"⁽³⁾.

بلغة استعمال مفردة (عَذَابٍ):

أتى النظم القرآني بمفردة (عَذَابٍ)، وهو الإيجاع الشديد، وأصل التّعذيب إكثار الضرب بعذبة السوط، أي: طرفها، وقال بعض أهل اللغة: التّعذيب هو الضرب⁽⁴⁾، فقول نفر الجن لقومهم: ﴿وَيُجْزِكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، أي: ينقذكم، ويحفظكم من إيلا م النار

مَن حَظِيَّ بِجَوَارِ
اللَّهِ؛ حَظِيَّ
بِالسَّعَادَةِ
الدَّائِمَةِ

العَذَابُ يَذْهَبُ
عَذْبُ الْحَيَاةِ،
وَيَمْحَقُ
سَعَادَتَهَا

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 106/5.

(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 183/18.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 61/26.

(4) الراغب، المفردات في غريب القرآن: (عذب).

والزَّمَّهْرِيرَ وغيرهما يومَ ألا يكونُ أمامَ العبدِ من خياراتٍ إلَّا الجنَّةُ أو النَّارُ.

وإذا كان معنى أُعَذِّبَ الحوضُ، أي: نُزِعَ ما فيه من العَذْبِ، أي: الكَدْرِ، وعَذَّبَ الحوضُ: صارَ مستساغًا، والعَذْبُ من الشَّرَابِ والطَّعامِ: كُلُّ مستساغٍ، ومنه: عَذَّبُ في قوله تعالى: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ [الفرقان: 53]، أي: حُلُوٌّ شديد العذوبة، ففي التَّعْذِيبِ معنى الإزالة في التَّقْطِيعِ، فيكون معنى عَذَّبَهُ: أزال عَذْبَ حياته، كمرَّضَهُ: أزال مرضه⁽¹⁾.

وعلى ذلك فوَعَدَ نَفَرَ الجَنِّ قَوْمَهُمَ بالإجارة من العذاب الأليم؛ إن أجابوا داعي الله، وآمنوا به، وعَدُّ بحياة عَذْبَةٍ هَنِيئَةٍ مستساغة، لا كدر فيها ولا مشاقَّ، فالمعاني اللُّغَوِيَّةُ أصولُ تُسْتَمَدُّ منها المعاني القرآنيَّةُ، وتُبْنَى عليها.

دلالة تنكير لفظ ﴿عَذَابٍ﴾:

نُكِّرَ لفظُ ﴿عَذَابٍ﴾ تهويلًا لخطورته، وإيحاءً بأنَّه ﴿عَذَابٌ﴾ لا قَبْلَ لقومهم بهوله ثقلًا وشِدَّةً وإِيجَاعًا؛ لأنَّه من الفظاعة بحيث لا يُقَادِرُ قدرُهُ، فتنكيره ناسب نكارة الكفر من جهةٍ، كما ناسب الجهل بِكُنْهِهِ وفضاعته من الجهة الأخرى.

علَّة وصف العذاب بالأليم:

وُصِفَ العذابُ بصفةِ ﴿أَلِيمٍ﴾، وهو الوجيع، الَّذِي يَخْلُصُ وجَعُهُ، وينتهي إلى قلوبهم⁽²⁾، والسِّيَاقَاتُ القرآنيَّةُ تستدعي لنفسها أوصافًا تناسبها للعذاب، والَّذِي اقتضى وصفَ العذاب بصفةِ ﴿أَلِيمٍ﴾ هنا أنَّ الوعيد هو لمضمورات القلوب من الكفر بالله ﷻ، والعناد لداعي الله تعالى، فالتهيئة لوصفِ ﴿عَذَابٍ﴾ بالإجارة تلائم جانب الإحساس، فناسب ذلك ﴿أَلِيمٍ﴾، بخلاف وُصْفِ (مهين) مثلاً، فسياقاته تهَيَّئُ لوصف الإهانة.

(1) الجمل، معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن: (عذب).

(2) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن: 106 / 3.

عذاب الكافرين
فظيع منكور
نكارة كفرهم

تنوع أوصاف
العذاب في الذكر
الحكيم بحسب
تنوع المعاصي

بلادة المجاز في صيغة «أليم»:

صيغ وَصَفُ «عَذَابٍ» بـ «أليمٍ» في قوله تعالى: «وَيُجْرِكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ» صيغة مبالغة، وإنما هو (مؤلم)، أي: "موجع"⁽¹⁾، غير أنَّ وصف (الأليم) أدخل في الإيلاام، وأدُلَّ على شدِّته بحيث لا يُتصوَّر احتمالاه، أمَّا (مؤلم)؛ فيُطلق على كلِّ ألم قد يُحتمَل وقد لا يحتمَل، ولن تبلغ صيغة اسم الفاعل (مؤلم) مبلغ صيغة المبالغة «أليمٍ» في الدلالة عن هول العذاب وفضاعته، ولشدَّة ذلك العذاب المؤلم، الَّذي يؤلم المعذَّب به إيلامًا لا يُطاق، وصفوه بأنَّه في ذاته «أليمٍ»، وكأنَّه صار في ذاته قطعة من الألم والإيلاام.

عَذَابُ الْكَافِرِ
قِطْعَةٌ مِنَ الْأَلَمِ
وَالْإِيْلَامِ

وإلى ذلك ففي وصف «أليمٍ» حرفٌ مدٌّ يُشعر بتطاوُل إيلامه على الكافر، وأنَّه يمتدُّ، ولا ينقطع عنه، أمَّا (مؤلم)؛ فاللفظ مقطوع قطعًا يوحي بانتهاء إيلامه إلى أمدٍ محدَّد، وهكذا تتأزَّر الصَّيْغَةُ الصَّرْفِيَّةُ مع الإشارة الصَّوْتِيَّةُ على بيان ما سيلقاه الكافر من عذاب «أليمٍ» موجع في الآخرة.

نكتة تقديم غفر الذُّنُوب على الإجارة من العذاب:

قدَّم غَفَرَ الذُّنُوب على الإجارة من العذاب في قوله تعالى: «يَغْفِرُ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ»؛ لأنَّ طبيعة التَّرتيب بين هذين الحدثين يقتضي تقديم المغفرة - الَّتِي هي تخليَّة من الكفر، وتطهير من آثاره - ثم تأتي الرَّحمة الرَّبَّانِيَّةُ بالإجارة من العذاب الأليم.

مَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ
تَخْلِيَّةٌ مُّقَدِّمَةٌ
عَلَى تَحْلِيَّةِ
الْإِجَارَةِ مِنَ
الْعَذَابِ الْأَلِيمِ

نوع الواو ودلالاتها:

(الواو) في قوله تعالى: «وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاْعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ» عاطفة⁽²⁾، فعطفت هذه الجملة على الجملة السابقة؛ لبيان

إِثْرُ التَّرْغِيْبِ
يَكْمُلُ التَّرْهِيْبُ
لَاكْتِمَالِ عُنَاوِرِ
الدَّعْوَةِ

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21 / 172.

(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9 / 192.

نتيجة حالين مختلفتين، حال المجيب وما يكون له، وحال المعرض وما يكون له، وفي هذه الجملة "إِجَابٌ لِلْإِجَابَةِ بِطَرِيقِ التَّرْهِيْبِ" أثر إيجابها بطريق التَّريْبِ وتحقيق لكونهم منذرين⁽¹⁾، وتحتل أن تكون الواو استئنافية على جعل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ﴾ ليست من كلام الجنِّ، بل هي من كلام الله تعالى، فتكون كالنَّعْيِ على ما قالوه.

بلاغة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:

التفت النظم الكريم من خطاب القوم في جملة: ﴿يَقَوْمًا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾، إلى الإخبار عن حُكْمِ غَائِبٍ في جملة: ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ﴾، وكان الظاهر يقتضي أن يطرد خطابهم إليهم فيقولوا: (وإن لم تجيبوا داعي الله؛ فلستم بمعجزين في الأرض).

ومن لطائف ذلك الالتفات تحاشي مجابهة قومهم المدعويين بما ظاهره تهديد مباشر لهم، وتجنب استفزاز قومهم بما قد يحول بينهم وبين الإيمان، والداعون نفرٌ منهم، حريصون أشدَّ الحرص على أن يتخلص قومهم من الكفر، ويظفروا بالإيمان.

علة التعبير باسم الشرط موصولاً (مَنْ):

أثر النظم الكريم استعمال اسم الشرط موصولاً في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ﴾؛ لأنَّ الموصول يهيئ التركيب لذكر جملة تفاصيل لا يهيئها لها الاسم الصريح، كما لو قيل في غير القرآن الكريم: (والمعرض ليس بمعجز في الأرض)، فالموصول الشرطي (مَنْ) هيئاً هنا لجملة الشرط ﴿لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ﴾، وفيها صَبَّ النَّفْيِ بـ ﴿لَا﴾ على الإجابة ﴿يُجِبْ﴾.

براعة إثبات النفي على الإثبات:

من براعة النظم الكريم إثباته التعبير بأسلوب النفي في جملة:

حكمة الدعوة
تقتضي تحاشي
مجاوبة
المدعويين

الموصول
الشرطي يهيئ
التركيب اللفظي

(1) الألوسي، روح المعاني: 13 / 189.

﴿لَا يُجِبُّ دَاعِيَ اللَّهِ﴾ على الإثبات، فلم يقل: (ومن يعرض عن داعي الله)؛ وذلك لأنَّ النَّفْيَ هِيَأُ لتكرار التَّصْرِيحِ بالإجابة منفيَّةً بعد ذِكْرِهَا مثبتةً في جملة ﴿أَجِيبُوا﴾؛ فيطرُد الأسلوب على مهيع طباق السَّلْبِ بين ﴿أَجِيبُوا﴾، و﴿لَا يُجِبُّ﴾، وللايماءِ إلى مدح المُجِيبِ لداعي الله تعالى.

العناية بالألفاظ
الخدمة
للمعاني
الظاهرة
والإيمائية

بلادةٌ إظهار ما حقَّه الإضمار:

آثر النظم الكريم إظهار تركيب ﴿دَاعِيَ اللَّهِ﴾، في قولهم: ﴿وَمَنْ لَا يُجِبُّ دَاعِيَ اللَّهِ﴾ مع أنَّ مقتضى الظاهر إضماره: (ومن لا يجبه)؛ وذلك لذكره في الآية السابقة: ﴿أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾، وفي ذلك الإظهار إلحاحٌ على التذكير بدلالات ﴿دَاعِيَ اللَّهِ﴾ من جهة، والوفاء بحق ﴿دَاعِيَ اللَّهِ﴾ في الجهة الأخرى؛ إذ ليست دلالاته المفصلة تحت عناوينه سلفاً ممَّا شأنه أن يُضمَر، ويُختصر، ويُطوى في ضمير، وفي الإظهار كذلك "مبالغة في الإيجاب بزيادة التَّقرير، وترتية المهابة وإدخال الرُّوعة"⁽¹⁾.

من أساليب
الوفاء بالمعاني
إظهار ما حقَّه
الإضمار

نوع (الفاء) ودلالاتها:

(الفاء) في جملة: ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ رابطة للجواب بالشَّرط، وهي هنا قائلة بِتَرْتِيبِ الجزاءِ على الشَّرط مع دلالة الفورية العاجلة منها، ممَّا يستثير الخوف في نفوس القوم من سرعة المصير إلى العقوبة.

دلالة الفوريَّة
تصاحب الفاء

نكتةٌ إيثار النَّفْيِ بـ (ليس):

آثر النظم الكريم نفي إعجاز من لا يجيب داعي الله تعالى في الأرض بـ (ليس) دون (لا)، وفي ذلك تهيئةٌ لاسميَّة الجملة بعدها، واسميَّة الجملة هنا تشتمل على جملة لطائف وإشارات لا تُطيقها

تهيئة التَّركيب
لاسميَّة الجملة

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 89/8.

الجملة الفعلية - كما سيأتي تفصيله - فضلاً عما لا يخدم السياق هنا من دلالة الجملة الفعلية من مثل دلالة التَّجَدُّد وغيرها.

نوع (الباء) ودلالته:

الباء في قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ﴾ للتوكيد، ولِفَتْ الأنظار إلى مضمون الخبر، وهو نفي قدرة مَنْ لا يجيب داعي الله على التأثير في الكون بشيء.

بلاغة استعمال مفردة (معجز):

الإيماء إلى
ما يجول في
الصدور من
القدرة على
الهرب

آثر النظم الكريم استعمال مفردة (معجز) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَا يُحِبُّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾؛ للدلالة على نفي أن يُفْلِتَ منه أحدٌ بحالٍ مُطلقاً، وتدلُّ مفردة (عجز) على التَّأخُّر والضعف، والمعنى: أنه ليس بمعجزٍ الله تعالى، فيسبقه، ويُفْلِتَ من عقوبته، فالكافر ليس بسابقٍ أو هاربٍ من عذابه تعالى، وللإيماء إلى ما قد يظنُّه بعضُ المخاطبين من القدرة على السَّبقِ والإفلات من العقوبة، لا سيَّما أنَّ للجنِّ قدراتٍ فائقةً أودعها الله تعالى فيهم، وهم يرون لأنفسهم تلك القدرات التي تفوق قدرات الإنس، ففي هذه المفردة كَشَفٌ عما يجول في بعض الصدور.

نكتة حذف متعلق (معجز):

حُذِفَ متعلق اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾، والمقصود "فليس بمعجزٍ الله تعالى" (1)؛ للتأدُّب مع الله تعالى، وتربية المهابة.

بلاغة التعبير بحرف الظرفية:

قدرته تعالى
محيطٌ بالعباد
بالغة جميع
الكون

جاء استعمال حرف الظرفية في قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾، بغرض "تعميم الجهات، فجرى على أسلوب استعمال

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 62/26.

الكلام العربي، وإلا فإنَّ مكان الجنِّ غيرُ معيَّن⁽¹⁾، "وإنْ هَرَبَ كُلُّ مَهْرَبٍ مِنْ أَقْطَارِهَا، أَوْ دَخَلَ فِي أَعْمَاقِهَا"⁽²⁾، فلا مَهْرَبَ لَهُ، "فهو في مُلْكِهِ وَمُلْكِهِ، وَقَدْرَتُهُ مُحِيطَةٌ بِهِ"⁽³⁾.

معنى تعريف لفظ ﴿الْأَرْضِ﴾:

التَّعْرِيفُ فِي لَفْظِ ﴿الْأَرْضِ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾، لِلْمَعْدِ الذَّهْنِي، فَهِيَ ﴿الْأَرْضُ﴾ الَّتِي تَعِيشُونَ فِيهَا، وَتَتَقَلَّبُونَ فِي أَرْجَائِهَا، وَأُطْلِقَ الْأَرْضُ الْمَعْهُودَةُ، وَأَرَادَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَمِنْ مَعَانِي ﴿الْأَرْضِ﴾ أَنْ تُطْلَقَ عَلَى الدُّنْيَا⁽⁴⁾، فَيَدْخُلُ فِيهَا الْأَقْطَارُ وَالْأَعْمَاقُ، ذَلِكَ أَنَّ الْجَنِّ تَنْتَقِلُ مِنْ مَكَانٍ لآخر بِقُدْرَاتٍ تَفُوقُ قُدْرَاتِ الْبَشَرِ الْمَعْهُودَةِ، وَقَدْ تَخْرَجُ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي نَعْرِفُهَا، فإِرَادَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا هُوَ الْأَوَّلَى بِالْمَقَامِ.

نوع (الواو) ودلالاتها:

(الواو) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾ عاطفة، تُعَدُّ عَلَى مَنْ لَا يَجِيبُ دَاعِيَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْوَاعَ الْخُسْرَانِ، الَّتِي تَنَالُهُ جَرَاءُ كُفْرِهِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَعَدَمِ إِجَابَتِهِ دَاعِيهِ، وَتُبَيَّنَّ "اِسْتِحَالَةَ نَجَاتِهِ بِوَاسِطَةِ الْغَيْرِ إِثْرَ بَيَانِ اِسْتِحَالَةِ نَجَاتِهِ بِنَفْسِهِ"⁽⁵⁾.

بالغة التعريض بالمشرِكين:

دَلَّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾ عَلَى نَفْيِ النَّصِيرِ لِلْمَعْرُضِ عَنْ إِجَابَةِ دَاعِيَ اللَّهِ، أَيْ: "لَا نَصِيرَ يَنْصُرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَيَحْمِيهِ مِنْهُ، فَهُوَ نَفْيٌ أَنْ يَكُونَ لَهُ سَبِيلٌ إِلَى النِّجَاةِ بِالِاسْتِعْصَامِ بِمَكَانٍ لَا تَبْلُغُ إِلَيْهِ قُدْرَةُ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا بِالِاحْتِمَاءِ بِمَنْ يَسْتَطِيعُ حِمَايَتَهُ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ ﷻ، وَذَكَرَ هَذَا تَعْرِيزٌ لِلْمَشْرِكِينَ"⁽⁶⁾.

المقصود بالأرض
الحياة الدنيا

النَّجَاةُ مِنْفِيَّةٌ
عن المعرض في
الدنيا والآخرة

نفى النصير عن
نوع تعريض
بغيره

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 62 / 26.

(2) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 937 / 9.

(3) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 184 / 18.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 206 / 24.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 89 / 8.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 62 / 26.

نكتة تقديم ﴿لَهُ﴾ على اسم (ليس):

من بلغه تقرُّع
التَّخصيص؛
فقد أصابه
سوط التَّرهيب

قُدِّمَ ذكر ﴿لَهُ﴾ على اسم (ليس) في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءٌ﴾؛ تنبيهًا إلى خطورة عدم إجابتهم ﴿دَاعِيَ اللَّهِ﴾ تعالى، وكأنَّهم هم الأخسرون الوحيدون من بين الأنام جميعًا، على القصر الدَّعائي؛ فهُمْ ليسوا الوحيدين في خسارة النَّصير، وإنَّما يُقرِّعُهم تقديم ﴿لَهُ﴾، فإنَّ الاعتناء بالترهيب والتَّقرُّع كالعناية بالترغيب والتَّقريب من حيث الأثر في المخاطب.

نوع (اللام) ودلالاتها:

اللام في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءٌ﴾ لام الاختصاص، أي: إنَّ مَنْ لا يجيب داعي الله لا يختصُّ بوليٍّ يدفع عنه، ويهتَمُّ لأمره.

نكتة مرجع الضمير مفردًا على الجمع:

الضمير المفرد في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ لَهُ﴾ عاد على ﴿وَمَنْ لَا يُجِيبُ دَاعِيَ اللَّهِ﴾، باعتبار لفظ (مَنْ)، والمراد به الجمع؛ لبيان أنَّ الكثرة الكاثرة كالمفرد.

نكتة استعمال لفظ ﴿دُونِهِ﴾:

كلُّ الخلق دون
الله تعالى في
النُّصرة والمكانة

آثر النُّظم الكريم استعمال لفظ ﴿دُونِهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ﴾؛ لبيان أنَّ كلَّ الخلق هم دون الله تعالى، وأنَّه ليس لأحدٍ أن ينصرَ المعرضَ عن دينِ الله تعالى، لكن أتى بـ(دون)؛ لبيان أنَّ الخلق هم في حال الدون من الخالق في القدرة والعلم والنُّصرة والعظمة، فكيف لهم أن ينصروا أنفسهم فضلًا عن نصرة غيرهم ممَّن أعرض عن دينِ الله تعالى، فهؤلاء لهم حال العدم في النُّصرة والمعونة.

تعيين مرجع الضمير في قوله: ﴿دُونَهُ﴾:

الضميرُ المضاف إليه الظرف في قوله تعالى: ﴿مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءٌ﴾ يرجع إلى اسم الجلالة في قوله: ﴿دَاعِيَ اللَّهِ﴾، أي: ليس له "من دون ربّه نصراء ينصرونه من الله تعالى؛ إذا عاقبه ربّه على كفره به وتكذيبه داعيه"⁽¹⁾.

دلالة التعبير بالولاية دون النصرة:

آثر النظم الكريم استعمال مفردة ﴿أَوْلِيَاءٌ﴾ دون (نصراء)؛ لما في لفظ الولاية من معاني الاتصال والقرب؛ فالنصرة عن قرب، مع المناداة على لفظ المحبة الذي يكون من معاني الولاية، فنفي الولاية النافعة عن كل أحد في حق ذلك المعرض عن إجابة الداعي إلى الله تعالى، أبلغ من ذكر النصرة، لعموم معانيها، وبلغ دلالاتها الظاهرة والإيحائية.

كل ولاية غير
نافعة للمعرض
عن دين الله

فائدة تنكير لفظ ﴿أَوْلِيَاءٌ﴾:

نكر لفظ ﴿أَوْلِيَاءٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءٌ﴾ لإفادة العموم؛ لوقوعه في سياق النفي ولقيد ﴿مِنْ دُونِهِ﴾؛ فلا أولياء نافعين لهم ألبتة.

فائدة جمع ﴿أَوْلِيَاءٌ﴾:

جاء لفظ ﴿أَوْلِيَاءٌ﴾ مجموعاً في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءٌ﴾؛ مراعاة معنى (من) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَا يُجِبُ دَاعِيَ اللَّهِ﴾، "فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع؛ لانقسام الآحاد إلى الآحاد"⁽²⁾، فمهما تعدد المعرضون عن إجابة الداعي، وتعدد معهم الأولياء؛ فالنتيجة واحدة، وفائدة الجمع المبالغة في كثرة الأولياء المنفي نفعتهم؛ زيادة في التيسيس وقطع الرجاء أن يكون هناك ولي من دون الله تعالى.

زيادة التيسيس
أن يكون هناك
ولي من دون
الله

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 173 / 21.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 89 / 8.

علّة فصل جملة الفاصلة:

فُصِلَتْ جملة: ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ عن جملة: ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ للاستئناف البياني؛ إذ جاءت الثانية وافية بجواب سؤال تثيره الأولى: وما وصف هؤلاء؟ أو: ولم لا يجيبون داعي الله تعالى؟ فجاء الجواب ببيان سبب ذلك، وأنه غرّقهم ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، فالجملة تعليلية.

نكتة استعمال اسم الإشارة للبعيد:

آثر النظم الكريم استعمال اسم الإشارة للبعيد، في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾؛ استحضاراً لمن لا يجيبون داعي الله تعالى، ولم يؤمنوا به سبحانه؛ استحضاراً مميّزاً موجزاً؛ ليُصَبَّ عليهم الحكم الفاضح بكونهم ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، فالبعد في الإشارة ﴿أُولَئِكَ﴾ يُبعدهم عن ساحة الطهر والكرامة إلى تيه الكفر والضلال، ويبيّن أنّهم "بعيدون من كلّ خير"⁽¹⁾، فالبعد مناسب لِظُلْمَةِ الضلال وتيهه، مُنبّهٌ إلى أنّ "من هذه حالهم جديرون بما يرد بعد اسم الإشارة من الحكم؛ لِتَسْبُبِ ما قبل اسم الإشارة فيه"⁽²⁾.

بلاغة استعمال حرف الظرفية:

أفاد حرف الظرفية في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾؛ غرق المعرض في الضلال المبين، بحيث يلفّه الضلال، ويطويه، ويغمّره، ويحيط به إحاطة الظرف بالمظروف، إحاطةً وطياً يلائمان عالم الروح، فالظرفية هنا مجازية؛ لإفادة قوّة تلبّسهم بالضلال حتّى كأنّهم في وعاء هو الضلال⁽³⁾.

بلاغة الاستعارة في لفظ ﴿ضَلَالٍ﴾:

في كلمة ﴿ضَلَالٍ﴾ استعارة مكنية، فقد شُبّه الضلال الذي يَغمر

تعليل الأحكام
أقوى في البيان
وأبلغ في المقاصد

الكافر بعيداً
عن كلّ خير،
مبعد عن
ساحات العطايا
والكرامة

الكافر مغمور
في تيه الكفر
وظلمات
الضلال

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 185 / 18.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 62 / 26.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 62 / 26.

روح الكافر بوعاء أو ظرفٍ يُلْفُ مظروفه، ويحيط به، وحذف المشبّه به، ودُلَّ عليه بحرف الظرفيّة «في»، وهي استعارة مخيفة لكل عاقل من أن تفرق روحه في ظلمات الضلال، أو تسقط في مستنقع الكفر الآسن، فتحجّب عنه أنوار الهدى، والعياذ بالله.

ظلمة الكفر
كثيفة؛ تحجب
عن الكافر كلَّ
قَبَس منير

بلغة استعمال مفردة الضلال دون الكفر:

في إثارة التعبير بالضلال دون الكفر، في قوله تعالى: «أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ»، تنبيه على اختلال عقول من لا يجيبون داعي الله تعالى، ولا يؤمنون به ﷻ، فإنَّ من أثر الكفر على إجابة داعي الله تعالى وعلى الإيمان به سبحانه مضموس الروح، مظلم النفس، مختل الفكر، ضالُّ الذهن، أعمى البصيرة، فذكر الضلال؛ لبيان أنَّه العلة الأولى والنتيجة النهائية للكافر، فإنَّه يبدأ بضلالٍ، وينتهي بضلال العناد والإصرار على الباطل.

الضلالُ علة
الكفر ونتيجته
للمستمرة

نكتة تنكير لفظ «ضَلَّي»:

نُكِر لفظ «ضَلَّي»؛ لبيان الإبهام والغموض، فالضلال في ذاته غامضٌ خفيٌّ، وتنكيره زاده غموضاً ونكارةً.

لطيفة وصف «ضَلَّي» بـ «مُبِين»:

وُصِفَ لفظ «ضَلَّي» بصفة «مُبِين»؛ وذلك لأنَّ الضلال خفيٌّ غير ظاهر في ذاته، لكنَّه مبينٌ في كونه يوصل إلى كلِّ الطُرُق إلاَّ طريق الخير والهدى والحقِّ، فهذا وجه كونه مبيناً، فهو بينٌ في وظيفته التي تحرف عن طريق الحقِّ، كما أنَّه "ضلال قامت الحُجَج والأدلة على أنَّه باطل"⁽¹⁾، "ظاهر في نفسه أنَّه ضلال"⁽²⁾، فمن طُمست بصيرته عن رؤيته وتمييزه؛ كان من الشُّؤم بمكان بعيد.

الضلال مبينٌ
في كونه يحرف
عن طريق الحقِّ
والهدى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 62 / 26.

(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 185 / 18.

العرض عن
الحق مع إبانة
الضلال في ضياع
طامس

بلاغة للجاز في الوصف ﴿مُبِين﴾:

الضلال يكون بيئاً في نفسه، واضحاً مكشوفاً لذوي البصائر
النافذة والعقول القويمة والأنفس المستقيمة، غير أنه يوصف في
الذكر الحكيم بأنه ﴿مُبِين﴾، وذلك أنه هو الذي يُبين عن نفسه،
ويُخبر الضالين بأن اختيارهم للكفر وإيثارهم له على الإيمان
واضح الاختلال، فالمجاز في إسناد معنى الإبانة للضلال؛ إذ هو
الذي يقوم بفعل الإبانة، وفي ذلك كناية عن سَفَه عقولهم؛ لأنه
﴿ضَلَّال﴾ لا يحتاج إلى مُبين يُبين عنه، فما بالهم يأتهم داعي الله
تعالى، ويكشفه لهم كشفاً إلى كشفه، ولا يهتدون!

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والخمسون،
سورة الجاثية من الآية 16 إلى سورة محمّد الآية 06
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثية من الآية 16 إلى سورة محمّد الآية 06
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.
مج. 55، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-659-89-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 55: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثية من الآية 16 إلى سورة محمّد الآية 06.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-659-89-1

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-4299298 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"